

الحملة الأيوبية الأولى على اليمن
(بقيادة شمس الدولة فخر الدين تورانشاه)
٥٦٩هـ / ١١٧٤م

الدكتورة فائزة الكلاس
قسم التاريخ
جامعة دمشق

الحملة الأيوبية الأولى على اليمن (بقيادة شمس الدولة فخر الدين تورانشاه)

٥٦٩هـ/١١٧٤م

الدكتورة فايزة الكلاس

قسم التاريخ

جامعة دمشق

تمهيد:

هنالك العديد من الدراسات التي تناولت الأوضاع السياسية والاجتماعية لليمن، في مختلف العصور الإسلامية، وتباين وجهات النظر كثيراً بين المؤرخين لأسباب عديدة تتعلق بالمناهج، والانتماء الفكري، والسياسي، والوطني، والقومي، ومن هذه الدراسات: الحملة الأيوبية الأولى "أسبابها ونتائجها" وسأحاول أن ألقى بعض الضوء على هذا الموضوع محاولة تقديم دراسة تحليلية لمجمل وجهات النظر حول دوافع الأيوبيين للاستيلاء على اليمن، وما تمخض عنها من نتائج.

وضع اليمن السياسي قبل الحملة:

يعدّ اليمن من الأقطار المهمة في وطننا العربي، بل من المناطق الاستراتيجية في العالم بسبب ما تمتع به من موقع جغرافي هام منذ أقدم العصور فهو يهيمن على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وباب المندب، وخليج عدن، ويطل على البحر العربي، والمحيط الهندي، ويلاصق أفريقية من جهة الصومال. واليمن عند الإخباريين أرض واسعة يحدها من الغرب البحر الأحمر ومن الشرق الخليج العربي ومن الجنوب البحر العربي وتصل حدودها الشمالية لتغطي منطقة تهامة^(١)، وبدخول اليمن في الإسلام أصبحت جزءاً من الأمة الإسلامية وولاية تابعة للدولة الجديدة في المدينة وشغلت دوراً فعالاً في توسيع الدول الإسلامية الجديدة، واستمرت تؤدي دورها المنوط بها كولاية تابعة لعاصمة الخلافة سواء في المدينة أو دمشق أو بغداد. وما إن بدأ الضعف يدب في الدولة العباسية حتى ظهرت النزاعات السياسية في اليمن، وأصبحت بلاد اليمن قبل التوسع الأيوبي فيها مجزأة ومفككة سياسياً، فظهرت فيها دويلات سياسية متعددة، مختلفة فيما بينها مذهبياً ومتعادية سياسياً ومتحاربة عسكرياً وكانت تلك الدويلات موزعة على النحو التالي:

بنو زريع، وكانوا إسماعيلية فاطميون يحكمون: عدت، ولحج، وأبين، وبعض مناطق تعز، وحكم سلاطين جنب، مدينة ذمار، ومخالفها بينما حكم بنو حاتم وهم إسماعيلية أيضاً حصن أشيخ، في آنس، وصنعاء وما حولها^(٢)، ووصل سلطانهم إلى بلاد الظاهر في البون، من حاشد، شمال صنعاء. أما بنو مهدي، فقد حكموا تهامة من حرض، حتى تعز، وذي جبلة، في مخلاف جعفر، وبعض مناطق تعز، كذلك حكم الشريف قاسم بن غانم بن وهاس المخلاف السليماني، وحكم الإمام الزيدي أحمد بن سليمان صعدة، والجوف وما حولها، وكانت أكثر العلاقات توتراً وعداءً في المنطقة بين بني مهدي، وهذه الدويلات بسبب محاولات التوسع على حساب دولة بني زريع في الجنوب ودولة الشريف قاسم في الشمال، وبالمقابل حاول كل من بني زريع، وبني

حاتم، وبني جنب، تكوين تحالف قبلي ضد ابن مهدي، فنجحوا في هزيمته وإيقافه عن التوسع في مناطقهم الأخرى^(٣)، بينما تأرجحت علاقة الإمام الزيدي أحمد بن إسماعيل بسلطين بني حاتم. فتارة سادها العداء والحرب، وتارة أخرى سادتها المصالحات^(٤)، هكذا كان وضع اليمن السياسي قبل الحملة الأيوبية وفي ما يلي سأحدث عن الدوافع التي أدت إلى مد النفوذ الأيوبي إلى هذا الإقليم المهم ومدى صحة هذه الدوافع.

- أسباب الحملة الأيوبية على اليمن:

تعددت آراء المؤرخين في أسباب الاستيلاء الأيوبي على اليمن، وما يهمننا هو إعطاء فكرة مختصرة عن هذه الأسباب لكي نلقي الضوء على أهداف الأيوبيين من الاستيلاء.

الرأي الأول: الخلاف الواقع بين نور الدين وصلاح الدين. بدأ الاهتمام ببلاد اليمن بعد أن استتب الوضع السياسي لصلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر وأصبح الرجل الأول فيها بعد أن تم اختياره كوزير عقب وفاة عمه أسد الدين شيركوه، ووفاء الخليفة العاضد. إن هذه التطورات قد أثارت مخاوف نور الدين محمود بن زنكي الذي كان يعدّ صلاح الدين تابعاً له، وكان يخشى أن يستقل صلاح الدين بمصر ويفك ارتباطه معه وبلغت العلاقة بين الرجلين حد التوتر، خاصة بعد انسحاب صلاح الدين من محاصرة حمص الكرك، التحدي المشروع العسكري الذي أراد نور الدين تعاون صلاح الدين لهذا الانسحاب، إلا أن الوجود الصليبي رغم التسويات التي قدمها صلاح الدين لهذا الانسحاب، إلا أن نور الدين لم يكن مقتنعاً لذلك خاف صلاح الدين من ردة فعل نور الدين بأن يقوم بإخراجه من مصر، الأمر الذي دفعه إلى إيجاد إقليم بديل عن مصر يلجأ إليه فيما لو تمكن نور الدين من إخراجه^(٥).

الرأي الثاني: خوف صلاح الدين من إخوته لكثرتهم، وخاصة من أخيه الأكبر تورانشاه، أن يأخذ منه السلطة في مصر كونه كثير النفقات، ولم يكن إقطاعه في

مصر يفي بمتطلباته، لذلك سعى أن يبعث به إلى اليمن ليكون له مملكة في منطقة أخرى بعيدة عنه^(٦).

الرأي الثالث: أراد صلاح الدين السيطرة على اليمن، بسبب ظهور ابن مهدي فيها وسفكه لدماء أهلها ونهب أموالهم، وتغلبه على مناطقهم وخروجه عن طاعة الخلافة العباسية، فضلاً عن خوف صلاح الدين من أن يستولي ابن مهدي على الأماكن المقدسة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، لأنه أشاع أن ملكه سينشر على الأرض كلها^(٧).

الرأي الرابع: أراد صلاح الدين بسيطرته على اليمن تأمين القوافل التجارية، القادمة من الهند والصين إلى مصر عبر اليمن. لأن النشاط التجاري عبر اليمن كان قد نشط منذ العهد الفاطمي بمصر، وبدأ يقل نشاطه في العهد الأيوبي فأثر ذلك على دخل مصر المالي^(٨).

الرأي الخامس: حرض عمارة اليمني صديقه فخر الدين تورانشاه على الذهاب إلى اليمن، وأخبره أن فيها خبرات كثيرة وملك كبير، سواء أكان ذلك التحريض حقيقة من عمارة أن تكون اليمن تابعة للأيوبيين، أم أنه يهدف من وراء ذلك إلى إخراج عدد من الجيش الأيوبي عن مصر ليسهل له بعد ذلك ولأتباعه التآمر على صلاح الدين والقضاء عليه وإعادة الدولة الفاطمية إلى مصر بمساعدة الشيعة والصليبيين^(٩).

الرأي السادس: سعى صلاح الدين بإرساله حملة إلى اليمن للقضاء على مختلف المذاهب التي لا تتوافق ورؤية الخلافة العباسية مثل مذهب الإسماعيلية (الفاطمية) ومذهب الخوارج، والزيدية^(١٠).

الرأي السابع: أرسل صلاح الدين حملته إلى اليمن نتيجة طلب مسبق من الشريف قاسم بن غانم صاحب المخلاف السليماني وأهل تهامة النجدة من الخلافة العباسية،

وصلاح الدين، لنجدتهم بالقدوم إلى اليمن للسيطرة عليها من ابن مهدي، الذي أقدم على قتل وهاس بن غانم، وعدد من أهل حرص سنة (٥٦١هـ/١١٦٦م)، وخاصة أن الشريف قاسم وأهل تهامة كانوا من أهل السنة وموالين للخلافة العباسية، وابن مهدي خارجاً عن طاعتها^(١١).

في الواقع أن هذه الآراء عبارة عن وجهات نظر المؤرخين في سبب اتجاه صلاح الدين الأيوبي لفتح اليمن وليس شرطاً أن تكون هذه الآراء هي التي دفعت صلاح الدين لفتح اليمن وإذا ما تناولنا مناقشة وتحليل الأسباب المختلفة التي ذكرها المؤرخون نرى ما يلي:

- مناقشة وتحليل الأسباب التي أوردها المؤرخون:

١. مسألة الخلاف بين نور الدين وصلاح الدين:

إن عدم إكمال صلاح الدين عملية حصاره لحصن الكرك وانسحابه بقواته معتزلاً بوجود قلاقل داخل مصر، جعل نور الدين غير مقتنع بهذه المبررات واعتبر انسحابه تنصلاً عن مشروع التعاون المشترك سيما وأن صلاح الدين قد كرر انسحابه عندما أعاد نور الدين الكرة في محاصرة الإفرنج بالتعاون مع قوات صلاح الدين، وفي هذه المرة برر صلاح الدين تصرفه باعتلال صحة أبيه ووجوب رجوعه إلى مصر^(١٢)، وحقيقة الأمر أن كلا الرجلين لهما فهم خاص في مقاومة الوجود الصليبي إضافة إلى اختلاف طباع الرجلين ونظرتهم حول سيادة المنطقة^(١٣). وعلى أية حال، فإن نور الدين كان يعتبر بلاد الشام الساحة الرئيسة للعمليات الحربية العسكرية ضد الإفرنج وما بلاد مصر سوى مصدر لرفد هذه العمليات مادياً وبشرياً. وعليه يجب أن تكون مصر خارج متناول الصليبيين لكي تؤدي هذا الدور^(١٤)، بينما يرى صلاح الدين أن مصر يمكن اعتبارها قاعدة رئيسة لمواجهة الصراع الصليبي وبالأخص مملكة بيت المقدس، ونتيجة لذلك فإن مفهوم إدارة الصراع قد اختلف بين هذين الرجلين وعلى

هذا الأساس فإن مصر تخرج من دائرة النفوذ الزنكي^(١٥). وقد كان نور الدين يأمل أن تصله الأموال الكافية لتغطية عمليات التصدي للإفرنج من بلاد مصر، إلا أن ما وصله هو متواضع أمام النفقات التي صرفت على الحملات العسكرية لتجهيز جيش الشام لمساندة مصر. وتبعاً لذلك أرسل نور الدين من يحصي له إيرادات مصر وهذا بحد ذاته يوضح عدم ثقة نور الدين بموقف صلاح الدين^(١٦). ولصلاح الدين أسبابه في عدم إرهاب خزائن مصر في تغطية مشروع العمليات العسكرية التي اقترحها نور الدين لأنه أدرك بأوضاع مصر الاقتصادية يضاف إلى ذلك الدور المعادي الذي قام به القواد في جيش الشام المرسل لمصر والذين تضررت مصالحهم الشخصية بتولي صلاح الدين الوزارة دونهم^(١٧)، وخلاصة القول إن صلاح الدين يرى أن الخطر الصليبي لا يشمل بلاد الشام فحسب وإنما يشمل بلاد مصر وعليه يجب بناء قوة عسكرية رادعة وقوية وهذا ما بدأ صلاح الدين في تحقيقه فعلاً. وهنا حظ احتمال عزم نور الدين على إخراج صلاح الدين من مصر بالقوة وضمها إلى دائرة النفوذ الزنكي، وبناء على هذه التطورات عقد صلاح الدين اجتماعاً يحضره أبيه نجم الدين حول التصرف الذي يجب أن يشكله إذا ما قرر نور الدين إخراجهم بالقوة فاتفقوا بأن يكتب صلاح الدين إلى نور الدين مؤكداً له إخلاصه وطاعته له وإن شاء تغييره فهو مستعد لذلك وأن لا يكثرث بالمجيء إلى مصر^(١٨)، وهذا كان قد هدأ من روع نور الدين قليلاً، وصرفه ولو وقتياً ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا يعول كثيراً على الروايات التي ذكرها مؤرخون معادون لكلا الرجلين فالمعروف أن ابن الأثير متحامل على صلاح الدين لأنه يميل إلى الأسرة الزنكية التي عاش في كنفها في الموصل^(١٩)، وإن المؤرخ ابن أبي طي يكره نور الدين، الذي أخرج أباه من قلعة حلب ونفاه^(٢٠). والحق أن صلاح الدين لم يقطع صلاته مع نور الدين، وظل يأخذ بأرائه خاصة بجعل الخطبة لبني العباس في مصر وتجهيز الحملة على بلاد اليمن، والتعاون بينهما في التصدي لغزو الإفرنج على دمياط. وآخر دليل على حرص نور الدين على مكانة

صلاح الدين في مصر ما قاله نور الدين لتورانشاه أخ صلاح الدين الأكبر عندما أرسله إلى مصر من الشام وحذره من مغبة اختلافه مع صلاح الدين^(٢١)، وأخيراً قد يكون هناك اختلافات في وجهات النظر ولكنها لم تؤثر حول نظرية الرجلين الجوهرية، والهدف المهم هو إخراج الإفرنج من الشرق وتحريره من وجودهم. هذا وبعد قرار ضم بلاد اليمن إلى إمكانيات مصر وبلاد الشام في التصدي لمطامع الصليبيين في المشرق العربي بالإضافة إلى جعل هذا القطر تابعاً لسلطة الخلافة العباسية، وفيما يتعلق بمسألة محاولة الأيوبيين إيجاد وطن جديد لهم في حال تمكن نور الدين من إخراجهم من مصر فإن ذلك غير صحيح ذلك أن صلاح الدين قد اقترح أمر الحملة العسكرية على اليمن على نور الدين فوافق الأخير طالما أن هدفها يصب في مصلحة المسلمين ولو كانت الحملة تهدف إلى إيجاد وطن لبني أيوب لرفض نور الدين^(٢٢)، بل لكان من المؤكد أن يستعيد صلاح الدين قواته من اليمن فيما لو كان يبحث عن وطن جديد بعد زوال الأسباب الداعية لإرسالها، أي بعد وفاة نور الدين، وذلك بعد قيام الحملة بوقت قصير. لا بل واصل إرسال المزيد من الإمدادات إلى اليمن، ضمناً لاستمرار تبعيتها للدولة الأم التي أصبح مركزها مصر أما فيما يتعلق بمسألة كثرة إخوة صلاح الدين وقوة بأسهم وخوفه من منافستهم له^(٢٣)، فهذا غير صحيح، فالظروف التي كانت تعيشها الأمة الإسلامية سواء كانت خارجية أو داخلية متمثلة بالهجمات الصليبية وحالة التفكك والتمزق الداخلي جعلته بأمس الحاجة إليهم، أما من ناحية أن تورانشاه كان كثير الإنفاق وإن إقطاعه بمصر لا يكفي^(٢٤)، فهو سبب غير مقبول لتجهيز حملة تكلفت بمبالغ طائلة من أجل تحقيق مكاسب شخصية، هذا إلى جانب أن صلاح الدين كان في مقدوره أن يزيد مخصصات أخيه إذا كان هدفه تحقيق أغراض ومكاسب شخصية باعتباره حاكم مصر آنذاك وكل موارد مصر تحت سيطرته.

أما فيما يختص بأمر ابن مهدي في اليمن فليس سبباً كافياً بتلك الحملة لأن الهدف كان ليس القضاء على ابن مهدي في زبيد فقط، وإنما القضاء أيضاً على النفوذ الشيعي في عدن وصنعاء أيضاً. وفيما يتعلق بالأماكن المقدسة وخوف صلاح الدين عليها فهو ليس من قبل ابن مهدي، وإنما ذلك مرتبطاً بوضع الحبشة المسيحية وخوفه من أن يحصل أي اتصال أو تعاون صليبي معها يشكل تهديداً على الأماكن المقدسة^(٢٥). أما فيما يتعلق بتأمين القوافل التجارية عبر البحر الأحمر، فقد كان البحر الأحمر تحت سيطرة الخلافة الفاطمية، وكان من دوافع الخلافة الفاطمية في السيطرة على اليمن تجارة الكارم (تجار التوابل)، مع الشرق الأقصى، لذلك لما استلم صلاح الدين السلطة بقي الإداريون الفاطميون أنفسهم، وبالتالي السياسة الأيوبية هي نفسها السياسة الفاطمية (المصرية) التجارية متعلقة بالدرجة الأولى بميناء الإسكندرية، السيطرة على البحر الأحمر وملاحة البحر الأحمر تقود إلى موانئ الهند، ومن ثم إلى بحر العرب أو المحيط الهندي، والمصريون كان عندهم سفن مصنعة للإبحار في البحر المتوسط، وعندهم سفن مصنعة خصيصاً للإبحار في المحيط الهندي والفارق بين سفن المتوسط وسفن المحيط الهندي ليس فقط الأشكال وعدد الأشرعة والمجذفين والصواري، بل في فن التصنيع فسفن البحر المتوسط كانت أخشابها تضم إلى بعضها بعضاً بواسطة المسامير، بينما كانت سفن المحيط الهندي تنسج أو تضم الأخشاب إلى بعضها البعض نسجاً بواسطة الربط بالأمراس والحبال، وكانت سفن المحيط الهندي هي سفن تجار الكارم أو التوابل كانت تحمل من الشرق الأقصى التوابل والحريز والعطور وغير ذلك^(٢٦). هكذا استفاد صلاح الدين فائدة كبيرة من هذه القوة البحرية بتأمين القوافل التجارية القادمة من الشرق الأقصى إلى مصر عبر اليمن (تجارة الكارم). أي ورث الأيوبيون عن الفاطميين سياستهم الخارجية تجاه بلاد اليمن والحجاز واهتموا بفرض نفوذهم على هذه البلاد خاصة حين امتد الخطر الصليبي إلى البحر الأحمر نفسه بقصد تهديد المقدسات الإسلامية، والتحكم في تجارة البحر الأحمر، ذلك أن البحر الأحمر

يمثل الطريق البحري الرئيس الذي يربط التجارة الشرقية بالغرب الأوروبي عبر مصر وكيف تتناوب مع الخليج العربي الريادة في هذا المجال، وفقاً للظروف السياسية، التي كانت تمر بها منطقة الشرق الأدنى عبر حقبة التاريخ وكيف تبوأ مكان الصدارة منذ أن قامت الدولة الفاطمية في مصر بعد أن مرت الخلافة العباسية بظروف صعبة في عصرها الثاني والثالث، وبعد أن سيطرت قوى الصليبيين على المناطق الجنوبية من الأردن وفلسطين، وقطعت الطريق بذلك على مسالك التجارة وعلى درب الحج عبر سيناء، على هذا النحو استعاد البحر الأحمر مكانته القديمة وأهميته منفذاً رئيساً هاماً للتجارة الشرقية، مما دفع السلطات الفاطمية إلى العمل على تأمين الملاحة فيه، غير أن الدولة الفاطمية لم تلبث أن تعرضت في أواخر أيامها لبعض الصعاب الاقتصادية بسبب اضطراب الأحوال في مصر^(٢٧)، مما ترتب على قيام أزمة نقدية في مصر نتجت عن المقاطعة الأوروبية لتجارة المرور عبر الأراضي المصرية. ونضوب موارد التبر من مناجم الذهب بالعلاقي، ولكن صلاح الدين نجح في بداية توليه للسلطة في التغلب على تلك الأزمة عن طريق تنظيم موارد بلاده، وإصلاح النقد بفضل عنايته بتجارة البحر الأحمر، التي زادت أهميتها في هذا العصر^(٢٨)، وهكذا شهد البحر الأحمر في العصر الأيوبي نشاطاً تجارياً واسع النطاق فاق ما سبقه من عهود وازداد نشاط تجار الكارمية في نقل السلع الشرقية من عدن إلى عيذاب، التي أصبحت منذ العدوان الصليبي عليها موضع اهتمام سلاطين بني أيوب، فزادت أهميتها كقاعدة بحرية تجارية، ومحطة رئيسة لتجار الهند واليمن والحبشة، وعدوة هامة لعبور الحجاج إلى الأراضي المقدسة، وأصبحت قوص مركز نشاطهم في الصعيد^(٢٩). ونتيجة لازدهار تجارة الكارم في العصر الأيوبي، ازداد ثراء العاملين بهذه التجارة، وذلك لما قام به سلاطين الأيوبيين من جهود من أجل حماية ورعاية التجارة، التي كانت تمثل حجر الزاوية في اقتصاد مصر في ذلك الوقت، وكذلك كانت لهذه الجماعة مكانتها وشهرتها في عصر الأيوبيين بدليل أن المقريزي

حين حدثنا عن وصوله من عدن إلى مصر في ربيع الأول سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م. ذكرهم دون أن يعرفنا بهم بدليل ما كان لهم من شهرة وعلمه أنهم ليسوا في حاجة إلى التعريف^(٣٠). وقد تجلت عظمة هذه الطائفة التجارية عندما استجابوا للاتصال التجاري الهائل بين الشرق والغرب، عند مطلع القرن الخامس الهجري، فأصبحوا كبار التجار المشتغلين بتجارة الشرق العلمية، وأصبح التاجر الكارمي، هو تاجر التوابل وسلع الشرق الغالية الثمن أساساً، تلك السلع التي أصبحت أهم تجارة لمصر مع الغرب في العصر الأيوبي^(٣١)، ويرجع الفضل في ازدياد أهمية هؤلاء التجار إلى نجاح الأيوبيين في إقرار النفوذ المصري في البحر الأحمر، وفي تنظيم شؤون التجارة في اليمن وفي غيرها من بلدان البحر وموانئه، الأمر الذي أدى إلى تمتع التجار بأمان على أنفسهم وأموالهم في تلك المناطق الإسلامية وإتاحة فرص لكسب لهم^(٣٢).

هذا وقد انفرد تجار الكارم المسلمون، بعد خروج اليهود من تجارة الكارم، بالعمل في هذا النوع من التجارة، ونقلوا مركز مشاطهم من عدن إلى القاهرة في العصر الأيوبي، نتيجة لما حدث من تطورات في التجارة العالمية بعد أن انتقل مركز هذه التجارة من موانئ المحيط الهندي إلى موانئ البحر المتوسط وكان من الطبيعي أن ينقل تجار الكارم المسلمون، مركز نشاطه إلى القاهرة والإسكندرية ليكونوا على مقربة من المركز التجاري الجديد، ومن شدة اهتمام سلاطين الأيوبيين بطائفة الكارم لما تدره من تجارتهم من مورد على اقتصاد مصر، قدموا لهم التسهيلات اللازمة حتى أنهم خصصوا لخدمتهم موظفاً حكومياً كبيراً يهتم بهم ويسهل لهم أمورهم وهو مستوفي البهار والكارم. وتحدث القلقشندي عن اختصاص الموظف الذي يشغل هذه الوظيفة بقوله: "إن موضوعها التحدث على واصل التجار الكارمية من أصناف البهار وأنواع المتجر"، وهي وظيفة جليلة تارة إلى الوزارة وتجعل تبعاً لها، وتارة تضاف إلى الخاص وتجعل تبعاً لها، وتارة تنفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان^(٣٣). وكان على مستوفي البهار والكارم مسؤولية أن يلاحظ ويجرد كل الوارد على أيدي تجارة

الكارم من عدن ثم جدة إلى مصر والداخل في فنادقهم والمباع للتجار الأوربيين^(٣٤)، ولضمان سلامة هؤلاء التجار وتجارتهم قام الأيوبيون بتعقب خطر المتجربة في مياه البحر الأحمر، فرصدوا سفناً من أسطولهم لهذه الغاية، كذلك وفرت الدولة الأيوبية لتجار الكارم الأمن في الطرق البرية بين موانئ مصر على البحر الأحمر وبين النيل وواديه. وهناك من يقول: إن الخدمات التي كانت تؤديها الدولة الأيوبية لتجار الكارم، كانت مقابل أموال ومساعدات كان الكارم يقدمونها للدولة في أوقات أزمتها المالية والاقتصادية، ويستند أولئك في ذلك على ما أشار إليه المقرئ من تحصيل صلاح الدين لزكاة أربع سنين من تجار سفن الكارم دفعة واحدة في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م، والحقيقة أن هذا افتراض لا وجود له، ذلك لأن صلاح الدين لم يحصل من تجار الكارم سوى الزكاة ولم يحصلها بهذه الطريقة منهم سوى مرة واحدة، وذلك لحاجته إلى المال في ذلك الوقت لمجاهدة الصليبيين الذين هاجموا عيذاب والبحر الأحمر في العام نفسه، ولم يذكر المقرئ ولا غيره من المؤرخين أن صلاح الدين عاود الطلب من تجار الكارم. بل إننا نجد على العكس من ذلك يسقط عن تجار الكارم ما كان يجبي عليهم بعيذاب من زكاة أموالهم بضع سنوات تشجيعاً للقُدوم إلى مصر^(٣٥)، لإنعاش اقتصادها، كذلك نجد أن هذا الافتراض لا يتعايش مع السياسة المالية التي اتبعها صلاح الدين، والتي كان يسير عليها بمقتضى الشريعة الإسلامية^(٣٦)، وخاصة بالنسبة للمكوس فكان لا يحصل من التجار المسلمين سوى زكاة أموالهم^(٣٧)، ومن غير المسلمين كان لا يحصل سوى العشر^(٣٨).

هذا واختلفت طبيعة التاجر الكارمي في العصر الأيوبي عنها في العصر الفاطمي، فقد كانت كميات السلع التي ينقلها تجار الكارم في العصر الفاطمي محدودة، أما بعد هذا العصر فقد أصبح التاجر الكارمي صاحب القوافل الهائلة التي كان يحميها بجند وخيالة تعمل لحسابه، وحقق هؤلاء التجار من وراء عملهم في تجارة الشرق أرباحاً هائلة، وثروات طائلة، فقد بلغت ثروة بعضهم مليون دينار، وبلغت ثورات البعض الآخر

أضعاف ذلك، وتعذر إحصاء ثروة بعضهم^(٣٩)، وبذلك أدرك صلاح الدين أهمية البحر الأحمر بالنسبة للتجارة الشرقية (تجارة الكارم) وسعى على تنشيط هذه الحركة التجارية وإنعاشها بشتى السبل والوسائل سواء بتخفيف أعباء المكوس المفروضة على التاجر، وعلى حجاج مصر، والمغرب أو تأمين الطرق التي كان يستخدمها هؤلاء بحراً وبراً أيضاً، حرص صلاح الدين من خلال سيطرته على البحر الأحمر على حماية الحجاز من أي تهديد صليبي ولاسيما العملية التي قام بها أرناط فيما بعد ضد سواحل الحجاز. من جهة أخرى كان الفاطميون هم سادة الحرمين الشريفين والآن أصبح صلاح الدين أول من حمل لقب خادم الحرمين الشريفين، وهذا دعم نفوذه أيضاً في عدم الوفاق مع الخليفة الناصر^(٤٠).

أما ما ذكر عن قيام عمارة اليمني بإغراء تورانشاه بالاستيلاء على اليمن، فكان الهدف منه التآمر لإعادة الدولة الفاطمية إلى مصر بمساعدة الشيعة، والصليبيين، ذلك أن عمارة اليمني اشترك في التخطيط مع بقايا الفاطميين للقضاء على الأيوبيين^(٤١)، عن طريق الاتصال بأموري ملك بيت المقدس، ووليم الثاني ملك صقلية، وسنان راشد الدين (شيخ الجبل وأحد زعماء الإسماعيلية)، واتفقوا على أن تقوم قواتهم بغزو مصر وقت أن يكون صلاح الدين بعيداً عنها^(٤٢)، في الشام وتورانشاه في جزء من الجيش الأيوبي في اليمن، ومن ثم يتولى المتآمرون في الداخل القيام بثورة في القاهرة وقت الغزو الخارجي^(٤٣)، حتى لا تستطيع القوات الأيوبية التصدي في وقت واحد للعدوان الخارجي، أو لمقاومة الثورة في الداخل^(٤٤). وبذلك يمكن إعادة سيادة الدولة الفاطمية من جديد، وبعد خروج تورانشاه بحملته إلى اليمن اكتشفت المؤامرة وتخلص صلاح الدين من مدبريها وعلى رأسهم عمارة اليمني، الذي صلب في الثاني عشر من رمضان سنة ٥٦٩ هـ / ١٦ أبريل سنة ١١٧٤ م-^(٤٥). ذلك قبل وفاة نور الدين بشهر واحد^(٤٦). أما بالنسبة لقرار صلاح الدين بتوجيه الحملة إلى اليمن من أجل القضاء على المذاهب المختلفة فيها والمخالفة للخلافة العباسية^(٤٧)، فهذا صحيح. ذلك عندما

يتم القضاء على التعددية المذهبية يكون لذلك قد أبعد المنطقة عن النزاعات الداخلية والحروب الطائفية الناجمة عن هذا الأمر وانطلاقاً من ذلك يستطيع تحقيق إعادة توحيد الدولة العربية الإسلامية في ظل الحكم المركزي المتمثل في الخلافة العباسية في بغداد.

أما ما أورده بعض المصادر من أن الحملة كانت نجدة للشريف قاسم بن غانم صاحب المخلاف السليماني ضد ابن مهدي، فإن تحليل هذا القول يوضح أن مهاجمة ابن مهدي للمخلاف السليماني وقتل الشريف وهاس، كان سنة ٥٦١هـ / ١١٦٦م، وكان يجب على أشرف المخلاف باعتباره علويين أن يطلبوا مساعدة الخليفة الفاطمي بمصر وليس الخليفة العباسي في بغداد.

أما فيما يتعلق بأمر طلب المساعدة من صلاح الدين فهذا غير منطقي لأنه من المعروف أن صلاح الدين لم يكن قد جاء إلى مصر حتى ذلك التاريخ، وأن تقلده للوزارة في مصر كان سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م، أي بعد سنوات من مقتل الشريف وهاس، وبذلك يتضح أن الحملة لم تكن استجابة لدعوة الشريف السليماني^(٤٨).

مما تقدم ومن خلال دراسة مجريات الأحداث في العالم الإسلامي آنذاك نرى أن أهم الأسباب الرئيسة في اتجاه صلاح الدين الأيوبي لفتح اليمن الآتي:

١ - السبب الأول: فكرة الدولة الإسلامية الواحدة:

فمنذ تكوين الدولة الإسلامية سيطر الفكر الإسلامي السياسي والديني على فكرة الدولة الواحدة على جميع المناطق التي تدين بالإسلام، والعمل على المحافظة عليها. وليس الأمر كذلك فحسب، بل السعي إلى نشر الدين الإسلامي خارج نطاق حدودهم بالتوسع للسيطرة على البلدان المجاورة. لذلك كان ضرورياً لكل دولة إسلامية العمل على تحقيق ذلك الهدف بما أتاحت لها من قوة، بالإضافة إلى أن هذه الوحدة لم يكن هدفها الاقتصار على القضاء على الدويلات السياسية ذات المذاهب الواحدة. بل القضاء على

جميع المذاهب الإسلامية، التي ظهرت آنذاك في العالم الإسلامي من شيعة، وخوارج، وتوحيدهم في دولة سياسية واحدة، ومذهب ديني واحد، هو مذهب أهل السنة، أو مذهب الخلافة العباسية، وهو المذهب الذي يدين به نور الدين وصالح الدين، لأن التعدد المذهبي والسياسي جلب للمسلمين حروباً مهلكة، أدت إلى إضعافهم واختلافهم، واقتراقهم، فانقسم العالم الإسلامي بين هذه المذاهب المتعددة إلى عدة دويلات متحاربة فحتم ذلك على نور الدين وصالح الدين محاولة توحيد وإيجاد قواسم مشتركة بين الجميع.

٢ - فكرة توحيد الجبهة الإسلامية:

ظهرت هذه الفكرة حينما بدأ الصليبيون يعملون على تكوين جبهة صليبية واحدة ضد المسلمين، جمعت كل أوروبا واتجهوا لغزو العالم الإسلامي، فشكل ذلك خطراً على المسلمين، الذين كانوا قد افترقوا وانقسموا إلى عدة دويلات مختلفة سياسياً ومذهبياً، لذلك كان لا بد من مجابهة هذه الجبهة الصليبية بجبهة إسلامية موحدة، والعمل على تدعيمها وتقويتها وتأمين حدودها، كما كان عليه من أجل تحقيق السيادة العباسية أن يقضي على خلافة الفاطميين بمصر ويتخلص من النفوذ الشيعي أينما وجد، لذلك وما إن تولى صلاح الدين منصب الوزارة للعاضد في مصر^(٤٩)، سعى للقضاء على الخلافة الفاطمية، وذلك عن طريق كسب رضى الشعب المصري وبدء تشكيل جيش جديد لكي يقوم بدرء الخطر الإفرنجي^(٥٠)، ونجح في توظيف الموارد الاقتصادية لمصر بغية خدمة الاستقرار الداخلي للبلاد والأمن الخارجي، وقد أثبتت هذه السياسة نجاحها منذ وقت مبكر في التصدي للغزو الصليبي على دمياط^(٥١). إن صلاح الدين كان يعي دور مصر وطاقاتها من أجل الوقوف أمام الخطر الصليبي الذي نجح في زرع وجود له في المشرق. وبغية تحقيق وحدة الجبهة العربية الإسلامية لا بد من إزالة الخلافة الفاطمية في مصر لأنها تشكل عقبة أمام هذا المشروع المهم في المستقبل^(٥٢)، من وجهة نظر صلاح الدين. ومن المعروف أن الصراع على السلطة

يغطي دائماً بغطاء ديني لإعطائه الصفة الشرعية، برأي أصحابه، وعلى العموم استطاع صلاح الدين إعادة مصر إلى حظيرة الدولة العربية الإسلامية وعاصمتها بغداد، وذلك من خلال إعلان الخطبة للخليفة العباسي صاحب الحكم المركزي للخلافة الإسلامية في بغداد على الرغم من أن الخلافة العباسية لم يكن لها أي دور قيادي أو فعلي في تلك الآونة، ولا تحمل سوى السيادة الاسمية، ولكن الهدف الأساسي جعل مصر تحت سيادة وسلطة واحدة لمجابهة العدو والاستفادة من طاقاتها.

وهكذا كانت تلك العوامل وحدها هي التي حركت سياسة صلاح الدين وحكمت تصرفاته فكانت حملة النوبة سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م. من أجل مطاردة بقايا الجيش الفاطمي من السودانيين الذين لجؤوا إلى جنوب مصر وعملوا على إثارة الشغب وأخذوا يتحينون الفرص للقضاء على دولة صلاح الدين لذلك استهدفت هذه الحملة، وهي بقيادة تورانشاه تعقبهم بغية القضاء عليهم، وتطهير جنوب مصر منهم، وتأمين حدود البلاد من جهتهم وقد حققت الحملة العسكرية هدفها بالاستيلاء على بلاد النوبة ولاسيما قلعتها أبريم، وكانت بلاد النوبة أول البلدان التي فكر الأيوبيون بها، لاتصالها جغرافياً ببلاد مصر، وبعد الحملة اتضح للأيوبيين أن النوبة لا تمتلك تلك الإمكانيات الاقتصادية التي سعوا إليها، لذلك فكروا في الاتجاه إلى اليمن^(٥٣).

أما حملة المغرب سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م. فقد ذكرت المصادر أنها كانت من أجل تحقيق ما يشاع من ثروة المغرب وأن يقيم تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين دولة فيها^(٥٤). ولكن الأحداث تشير إلى أن تلك الحملة كانت من أجل تحقيق سيادة السلطة العباسية ومساعدة بني غانية المواليين للعباسيين ضد أعدائهم من الموحدين^(٥٥)، ويؤكد ذلك أن ابن خلدون يعلل اتصال قراقوش بابن غانية، بأن صلاح الدين أمر بذلك حسب طلب الخليفة العباسي، إذ إن ابن غانية كان يدعو للخليفة العباسي^(٥٦)، وهذا التعاون بين قراقوش والميورقيين، يشير إلى أن الأيوبيين كانوا يمهدون للتدخل ولكن ظروفهم لم تكن مناسبة وبالمقابل الموحدون يعلمون ذلك منهم، ولهذا لما طلب صلاح

الدين المساعدة من الخليفة يعقوب المنصور ضد الصليبيين رفض الأخير طلبه، ذلك أن تحرير بيت المقدس من الصليبيين كان له ردة فعل قوية في غرب أوروبا فعدت حملة صليبية جديدة من الحملة الصليبية الثالثة، التي امتد تاريخها ثلاث سنوات (٥٨٥-٥٨٨ هـ/١١٨٩-١١٩٢م)، وبلغ صلاح الدين استعداداتها، لذلك قام بترتيبات عسكرية ودفاعية، كما يوفد الرسل إلى مختلف الجهات من ضمنها إلى خليفة المغرب يعقوب المنصور لإعانتته بالأساطيل لتحول بين أساطيل الصليبيين وبين إمداد الفرنجة بالشام، ولاسيما أن خطة الحملة كانت تعتمد على الارتحال إلى جزيرة صقلية، ومنها يتم قصد الأراضي المقدسة، وعلم صلاح الدين بهذه الخطط لذلك قام بإرسال سفارة إلى الموحيدين كي يغلقوا مضيق مسينا الممر الوحيد الذي كان عليهم عبوره أثناء توجههم إلى فلسطين ليمنع وصول الحملات^(٥٧)، ولكن رسول صلاح الدين أخفق إذ كان للخلاف في العقيدة بين الطرفين أثره ما دام الأيوبيون يدعون للخليفة العباسي ولا يعترفون بالموحيدين كخلفاء للإمام المعصوم* ولاسيما أن الموحيدين كانوا يرون أنفسهم أحق بالخلافة من غيرهم لأنهم أكثر المسلمين إيماناً وأصحهم مذهباً وأعدوا الخليفة أي أمير المؤمنين مرتبة دينية قبل أن تكون مرتبة عسكرية^(٥٨)، خاصة وأن المنصور الموحيدي أبدى في بعض المجالات طموحه لتحقيق رسالة المهدي في محاربة المنكر والبدع في طول ديار الإسلام وعرضها. إذ يذكر المراكشي أن المنصور صرح للموحيدين عن نيته بالرحلة إلى المشرق وجعل يذكر البلاد المصرية، وما فيها من المناكر والبدع، ويقول: إنا إنشاء الله مطهروها ولم يزل هذا عزمه إلى أن مات سنة ٥٩٥ هـ/١١٩٩م^(٥٩). وبذلك كانت دولة الموحيدين بالمغرب تشكل خطراً على مصر والخلافة العباسية ولهذا كان لا بد من تأمين حدود مصر الغربية التي سبق للفاطميين أن هددوا مصر منها، واستطاع جوهر الصقلي أن يدخل مصر عن طريقها وقيم فيها الدولة الفاطمية التي قضى عليها صلاح الدين. وفي الحقيقة أن صلاح الدين ظهر في ظروف غير عادية فموقفه في مصر لم يكن مستقراً بسبب التهديد الصليبي له في

الشام، مما شغل تفكيره طوال الوقت، ذلك أن مصر تعد خط الدفاع الأول لحماية بلاد الشام والحصن، الذي ينطلق منه للسيطرة على بلاد المغرب، فلو وجد الهدوء والاستقرار لحاول بسط نفوذه على منطقة النزاع الموحدى الصقلي^(٦٠)، أما حملة تورانشاه سنة ٥١٩هـ/١١٧٤م، فقد كانت من أجل تحقيق سيادة المذهب السني بالقضاء على دولة ابن مهدي الخارجي في زبيد والتخلص من بقايا النفوذ الشيعي في عدن وصنعاء، والتي أصبحت اليمن مركزاً له، وخاصة بعد القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر، ذلك أصبح الفتح الأيوبي ضرورة فرضتها وحدة الجبهة العربية الإسلامية من أجل الوقوف أمام الخطر الصليبي، كما حقق الاستيلاء على اليمن السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وذلك لضمان حرية التجارة القادمة لبلاد العرب ومصر. إن البحر الأحمر يمثل الشريان الاقتصادي، الذي يربط بلاد مصر مع بلاد الهند وساحل أفريقيا الشرقي، ويضاف إلى ذلك أن صلاح الدين كان يريد السيطرة والتحكم على نوايا الإفرنج العدوانية ضد الأماكن المقدسة وقد نجح في السيطرة على المنفذ الشمالي للبحر الأحمر، وبذلك تم تأمين مرور التجارة بالإضافة إلى حماية الأماكن المقدسة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة بالإضافة إلى منع أي اتصال بالحبشة المسيحية، وتسلسل الفكرة الصليبية في البحر الأحمر جنوباً إلى الأحباش، مما يؤدي إلى زيادة تأزم الوضع وبالتالي زيادة متاعب صلاح الدين^(٦١).

- حملة تورانشاه:

ومهما يكن من أمر فقد استأذن صلاح الدين مولاه نور الدين بحملة اليمن بقيادة أخوه الأكبر شمس الدولة تورانشاه بفخر الدين، وجهزه بحملة عسكرية كبيرة فيها العديد من الأمراء والقادة وجمع من العساكر بلغ عددهم ثلاثة آلاف فارس وراجل، فضلاً عن أنه جهز بالكثير من الأموال التي يحتاجها لهذه الحملة وهي مالية قوص لمدة سنة^(٦٢)، وبعد أن تم تجهيز الحملة بكافة المستلزمات العسكرية من أزواد وعدة خرجت من مصر نحو اليمن في رجب سنة ٥٦٩هـ/فبراير ١١٧٤م. حيث تم

شحنها عن طريق البحر في حين أن الجيش الأيوبي سار عن طريق البر قاصداً مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة، ومن الملاحظ أن شحن الحملة قد تم عبر عيذاب وليس عبر السويس أو العقبة من أجل تأمينها من التعرض للصليبيين، الذين كانوا يسيطرون على فلسطين^(٦٣). هذا وبعد أداء مناسك العمرة خرجت الحملة في رمضان من السنة نفسها نحو اليمن عبر طريق الحبيج، وعند وصولها إلى (حرض) من أرض اليمن أسرع حاكم المخلاف السليماني الأمير قاسم بن غانم بن يحيى السليماني معلناً الطاعة والولاء بسبب هجوم ابن مهدي على بلاده سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٦م، وطلب أن يكون أول دخوله اليمن نجدة لبني سليمان ضد ابن مهدي فاستجاب تورانشاه له، باعتباره حاكماً لإحدى دويلات اليمن، كما اصطحبه معه كونه من القوى اليمنية التي ستسهل له معرفة مسالك الطريق وكيفية التعامل مع القوى اليمنية الأخرى^(٦٤).

- السيطرة على زبيد والقضاء على دولة بني مهدي:

غادر شمس الدولة تورانشاه مدينة حرض في أواخر شهر رمضان من سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م، بصحبة الشريف قاسم بن غانم إلى زبيد، فوصلت قواتهما إليها في السابع من شهر شوال^(٦٥)، ولما علم عبد النبي بن مهدي بوصول الجيش الأيوبي نحوه أسرع في الخروج لقتالهم خارج أسوار زبيد معتمداً أسلوب المباغطة في القتال مستغلاً تعب الحملة من جراء سيرها في الطريق، ولما دارت رحى الحرب بين الطرفين أخذ ابن مهدي يحمس جنوده ويحثهم على القتال^(٦٦). ولكن قوات ابن مهدي لم تستطع الصمود أمام الجيش الأيوبي فانسحبت نحو زبيد للتحصن وراء أسوارها، ولكن الجيش الأيوبي تعقب الفلول المنسحبة واستولى على المدينة عنوة في اليوم التاسع من شوال وتم أسر ابن مهدي وأسرته، كما استبيحت المدينة وتم الاستيلاء على كل ما في الخزائن من الأموال وأقام تورانشاه في زبيد لضبط أمورها وإراحة جنده حتى شهر ذي القعدة^(٦٧)، وهكذا تمكن تورانشاه من السيطرة على زبيد والقضاء على حكامها، وانتهت بذلك دولة بني مهدي من تهامة. ومن الملاحظ أن هناك العديد من الأسباب

التي أدت إلى انتصار الأيوبيين. منها أن قوات المهدي ضعفت منذ بداية ٥٦٩هـ / ١١٧٤م، بسبب تكتل قوات اليمن القبلية من بني زريع، وبني جنب، وبني حاتم ضدها، بالإضافة إلى عدم معرفة ابن مهدي لقدرة الجيش الأيوبي القتالية، ومن جهة أخرى أن الجيش الأيوبي كان أكثر عدداً من جيش المهدي الموجود في زبيد، بالإضافة إلى تدريبه العسكري العالي، كذلك استخدام الأيوبيين للسلام، لاقتحام مدينة زبيد من جميع جهاتها، وفكرة استخدام السلام لم تكن مستخدمة لدى اليمنيين بسبب حاجتهم إليها لكثرة جبالهم المحصنة طبيعياً^(٦٨). إضافة إلى ذلك فإن الجيش الأيوبي كانت لديه المقدرة القتالية العالية في المناطق المفتوحة أكثر من المناطق الجبلية، وزبيد من المناطق المفتوحة، لذلك كله حقق الأيوبيون النصر على ابن مهدي. ولقد اختلف المصادر حول مصير عبد النبي بن علي بن مهدي، فقيل: إنه قتل في عام ٥٧٠هـ / ١١٧٥م^(٦٩). ومن المرجح أنه لم يقتل في حينها، ذلك أن بعض الروايات تشير إلى أنه جيء به أسيراً إلى عدن عند استيلاء تورانشاه عليها فيما بعد وأنه قد تم التحفظ عليه بعد ذلك في زبيد حتى وقع خلاف بشأنه فيها، فلما علم تورانشاه بذلك وهو بذي جبلة أرسل إلى نائبه في زبيد يأمره بقتل عبد النبي وأخويه، فنفذ النائب أمره في السابع من رجب سنة ٥٧٠هـ / فبراير ١١٧٥م^(٧٠)، من جهة أخرى عمل تورانشاه على إصلاح أحوال المدينة، وأعاد الخطبة فيها للخليفة العباسي وخطب له بعد الخليفة في جميع ما فتحه بعد ذلك من البلاد، ثم غادر تورانشاه في أوائل ذي القعدة سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م^(٧١). لاستكمال السيطرة على بقية البلاد والحصون التابعة لبني مهدي، فسار نحو تعز فسيطر عليها دون مقاومة، وذلك بسبب لجوء حامياتها للتحصن في الجبال المجاورة لها ولخوفهم من الجيش الأيوبي، بعد ذلك توجه تورانشاه للسيطرة على جبل صبر، وجبل ذخر (جبل حبشي)، ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليهما بسبب مناعة حصونها وظهور المقاومة من قبل حاميات ابن مهدي،

ومن أجل استغلال الوقت انسحب تورانشاه بجيشه وتوجه نحو الجند فسيطر عليها دون قتال^(٧٢).

- الاستيلاء على عدن: وسقوط دولة بني زريع:

قبل أن يكمل تورانشاه الاستيلاء على باقي ابن مهدي توجه نحو عدن، للقضاء على دولة بني زريع، وما إن اقترب بجيشه من عدن حتى خرج جيشها بقيادة ياسر ابن بلال المحمدي نائب أبناء بني زريع، ولكنه هزم فانسحب بقواته إلى عدن للتحصن بها، فأسرع تورانشاه بإرسال فرقة من الجيش سبقته للسيطرة على المدينة، فأصبحوا محاصرين بين فكي كماشة، مما أربك جيش بني زريع وأوقعهم في الانهزام في شهر ذي القعدة سنة ٥٩٦هـ/ يونيو ١١٧٤م، وخلال دخول القوات الأيوبية تعرضت المدينة للنهب من قبلهم ولكن تورانشاه عمل على منعهم وقال: (ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها فلن ينهب أحد منها شيئاً)^(٧٣). وإذا كان الأيوبيون قد أباحوا نهب زبيد في بداية أمرهم ذلك لأنهم كانوا حديثي العهد باليمن، ومن أجل إثبات قوة وبأس جيشهم لإخافة باقي المناطق اليمنية حتى تسارع بالاستسلام إضافة إلى أنهم كانوا بحاجة للأموال في بداية وصولهم إلى اليمن لتساعدهم على استمرار الفتح جون الانتظار في وصول الإمدادات المادية من مصر ويخالف الموقف في زبيد عنه في عدن ذلك أن نهب البلاد من شأنه أن يسيء إلى سمعة الأيوبيين، بالإضافة إلى تفكك الجند وتسابقهم للسلب والنهب وتنازعهم على الغنائم سيساعد على تجمع القوى المعادية لهم وييسر لتلك القوى مهمة الإجهاز على الحملة، لذلك منع تورانشاه جنده من نهب عدن، ومهما يكن فقد استقامت الأمور بعدن لتورانشاه بعد أن قضى على دولة بني زريع، وأقام فيها إلى النصف من شهر ذي الحجة (آب)، ثم توجه نحو مخلاف جعفر فسيطر على ذي جبلة، وتسلم حصن التعكر فيها سلماً دون قتال، وكان تابعاً لابن مهدي، في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٦٩هـ/ يوليو ١١٧٤م^(٧٤). ويرجع السبب في سيطرة الأيوبيين على ذي جبلة بدون قتال إلى ميل

أهلها إلى السلم ومخالفتهم لمذهب ابن مهدي، وضعف قواتهم فضلاً عن انتهاء دولة بني مهدي التابعين لها.

- الاستيلاء على صنعاء وسقوط دولة بني حاتم:

لم يمضِ وقت طويل حتى فتح تورانشاه الكثير من المعازل والحصون ولم يبقَ له لاستكمال الفتح سوى حصن الدملة^(٧٥)، والبلاد العليا، ولهذا عمل على الاستيلاء على تلك البلاد فتوجه إلى ذروان شرق دمار من بلاد قبائل جنب، وكان حاكمها عبد الله ابن يحيى الجنبى، فوصل إليها في أول محرم من سنة ٥٧٠هـ/ أغسطس ١١٧٤م^(٧٦). ودارت معركة بين الطرفين رأى فيها عبد الله الجنبى أن لا قدرة له على المقاومة فصالح تورانشاه، بعد ذلك استولى تورانشاه على حصن المصنعة الواقع قرب دمار من صاحبها محمد بن زيد بن عمر الجنبى دون قتال. ثم توجه إلى مدينة دمار، ولكن قبائل جنب اعترضت طريقه في موضع يسمى (الرخمة) شرق دمار، فنشبت بينهما معركة كبيرة في التاسع من محرم سنة ٥٧٠هـ/ أغسطس ١١٧٤م. قتل فيها خمسة وستون رجلاً من جند تورانشاه وعددٌ من رجال القبائل، بعدها واصل تورانشاه سيره إلى دمار، فاستولى عليها، وأقام فيها عدة أيام، ثم غادرها قاصداً صنعاء، ولكن قبائل جنب اعترضت طريقه مرة ثانية، ودارت بين الفريقين معركة شديدة الضراوة دفعت تورانشاه إلى أن يحث جنوده على القتال، وقال لهم: (أين أنتم من ديار مصر؟ قاتلوا عن أنفسكم وإلا أكلتكم العرب). فقاتلوا قتالاً شديداً، انتهى بهزيمة قبائل جنب، حيث قتل ٧٠٠ من رجالهم، ولم يكتفِ تورانشاه بذلك، بل طاردهم حتى ألجأهم إلى حصن هرن شرق دمار، ثم تركوه وذهبوا إلى صنعاء^(٧٧)، ومن الملاحظ أن قبائل جنب استخدموا في حربهم أسلوب المباغلة والهجمات، التي يكثر فيها الكر والفر من أجل تكبيد الأيوبيين الخسائر الفادحة، حتى لا يستقروا في بلادهم. نتيجة لذلك لم يحاول تورانشاه العمل على ضم دمار لسلطته، فقد خرج منها

دون أن يترك بها جيشاً للسيطرة عليها. وبالنسبة لحرب قبائل جنب للأيوبيين، فذلك يرجع إلى محاولة التمسك بنظامها القبلي بالاحتفاظ بسلطتها على مناطقها.

- السير نحو صنعاء:

بعد ذلك، واصل تورانشاه سيره نحو صنعاء، فوصل إلى منطقة (الجبوب) قرب مدينة صنعاء، من شرقها الجنوبي في السابع عشر من محرم سنة ٥٧٠ هـ / أغسطس ١١٧٤ م. معسكراً بها بمدة ثلاثة أيام. وبالمقابل ما إن سمع سلطان صنعاء ومخالفوها علي بن حاتم بقدوم الأيوبيين نحوه حتى أدرك أنه غير قادر على محاربتهم، فنقل خزائنه وسلاحه من صنعاء إلى حصن براشن^(٧٨)، وذلك بعد أن أمر سور صنعاء^(٧٩)، ويبدو أنه قصد من تخريب السور أن تكون القوات الأيوبية في صنعاء مكشوفة وبدون حاجز يحميها للإغارة عليها إذا ما سمحت الظروف^(٨٠)، وحتى لا يتمكن الأيوبيون من الاستقرار بها. وعلى الرغم من خوف أهل صنعاء فإن جماعة من مشايخهم خرجوا إلى تورانشاه بطلب الأمان منه، فلما وصلوا إليه أمر بإحضار جماعة من رؤوسائهم لمحادثتهم في أمور الدين للتعرف على مذهبهم الديني، وهل هم من أهل المذاهب المعتدلة في الإسلام؟ أم من الغلاة لاسيما أن حكامهم بنو حاتم كانوا من أتباع الصليحيين الإسماعيلية، وبعد أن منح شمس الدولة تورانشاه الأمان لأهل صنعاء دخلها وأقام بها عدة أيام، ثم تركها بسبب عدم توفر الميرة وسار نحو تهامة^(٨١)، حيث أخذ طريق نفيل السود من بلاد بني شهاب وسنحان إلى الجنوب من صنعاء عائداً إلى تهامة فتعرضت مؤخرة جيشه لمهاجمة بعض القبائل عند عبوره تلك المنطقة، ثم تعرضت مؤخرة الحملة مرة أخرى لسطو قبائل بلاد برع^(٨٢)، عند مروره عبر بلادهم ولكنه واصل سيره إلى زبيد ولم يعر الأمر التفاتاً، وذلك من أجل استغلال الوقت لاستكمال الفتح^(٨٣).

- مواصلة التوسع واستكمالته:

لم يبقَ تورانشاه في زبيد كثيراً بعد عودته إليها من صنعاء، بل غادرها في جمادى الأولى سنة ٥٧٠هـ/ ديسمبر ١١٧٤م. إلى مدينة الجند، حيث جاءه والي حصن صبر وكان تابعاً لعبد النبي بن مهدي وسلمه مفاتيح حصنه بعد ذلك توجه الأيوبيون نحو الحصون الواقعة غرب مدينة تعز، وكانت تابعة لبني مهدي أيضاً، فسيطروا على حصني بادية وشرياق، أما حصن عزان ذخ (جبل حبشة)، الذي كان متولياً عليه علي بن الحجاج صهر عبد النبي بن مهدي فقد طلب مصالحة الأيوبيين حين حاصروه على أن يسلم لهم الحصن وما بحوزته من أموال لابن مهدي والتي كانت تقدر بعشرة آلاف دينار، ذهب مقابل أن يخلوا سبيله ومن معه فقبل تورانشاه بذلك، وتسلم الحصن منه، بعد ذلك توجه تورانشاه فاستولى على حصن المعفر للسيطرة على الحصون، التي كانت تابعة لبني زريع فاستولى على حصن يمين بالقوة، كما فتح حصني منيف والسمدان، بذلك لم يستطع الزريعيون الاحتفاظ بحصونهم بسبب انتهاء دولتهم في عدن وعدم مقدرتهم مساعدة بعضهم البعض لذلك سرعان ما سقطت حصونهم بيد الأيوبيين. بعدها تابع نورانشاه سيره إلى حصن الدملوة فلما استعصى عليه توجه إلى مدينة ذي جبلة، وأقام فيها فترة، ثم اضطر للعودة إلى زبيد لوقوع اضطرابات فيها بسبب ابن مهدي، فوصل إليها في الثالث عشر من شعبان سنة ٥٧٠هـ/ مارس ١١٧٥م^(٨٤). وما إن تمكن تورانشاه من السيطرة على اليمن الأسفل وتهامة وقضائه على دولة بني مهدي، ودولة بني زريع حتى لقب بالملك المعظم وخطب له في هذه المناطق، كما خطب للخليفة العباسي، وذلك رمزاً على خضوعهم لنفوذ الأيوبيين ثم العباسيين^(٨٥).

ومن الجدير بالذكر أن تورانشاه حاول خلال توسعه في اليمن البحث عن مركز استراتيجي لإقامته وجيشه، ليخدم أغراضهم، ويكون رمزاً لدولتهم في اليمن، فاختار تعز لتكون عاصمة لهم، واتجه للإقامة بها سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م، والسبب في اختيارها ميل أهلها إلى السلم فهم لم يقاتلوا الأيوبيين لانتمائهم لمذهب أهل السنة الذي

يعتقده الأيوبيون، بالإضافة إلى تمكن الأيوبيين الإشراف والسيطرة منها على اليمن كله، وغير ذلك تكلفة تورانشاه الأطباء أن يختاروا له مكاناً صحيح الهواء ليتخذ فيه سكناً فوق اختيارهم على مكان تعز، فاخترت به المدينة ونزل بها^(٨٦).

مما تقدم يلاحظ بأن تورانشاه تمكن من فتح المدائن والحصون واستولى على معظم بلاد اليمن، ويقال إنه فتح وحده ثمانين حصناً ومدينة وأن نواب القلاع أرسلوا مفاتيحها إليه طوعاً وبدون قتال^(٨٧)، ويذكر أبو شامة أن تورانشاه فتح حضرموت أيضاً^(٨٨).

- أسباب انتصار تورانشاه وعودته إلى الشام:

من الأسباب التي ساعدت على توسيع تورانشاه في اليمن وتحقيق الانتصارات فيه، حالة التدهور والانقسام الداخلي والصراع بين الدويلات الموجودة فيه بسبب الاختلاف المذهبي والصراع السياسي، وكما مر من قبل بنو مهدي شيعة وأصحاب المخلاف السليماني سنة، وحكام عدن وصنعاء إسماعيلية، فضلاً عن دخول بني مهدي في صراع مع تلك الدويلات، كذلك تعاون أهل السنة اليمنيين مع الأيوبيين ضد بني مهدي وبني زريع مثل تعاون أصحاب المخلاف السليماني والتسهيلات التي قدموها للجيش الأيوبي، هذا وبعد أن تمكن تورانشاه من السيطرة على الكثير من مناطق اليمن استقر بها سنة كاملة^(٨٩) من شعبان سنة ٥٧٠هـ/ مارس ١١٧٥م، دون أن يتجه إلى حرب أي من القوى اليمنية بها، وذلك بسبب تركه لكثير من جنده حاميات في كل من زبيد وتعز وعدن وذي جبلة، أما بالنسبة لإقامته باليمن منذ قدومه من مصر، فقد استغرق مدة سنتين من رجب ٥٦٩هـ/ أبريل ١١٧٤م. حتى رجب سنة ٥٧١هـ/ يناير ١١٧٦م^(٩٠). بعد ذلك قرر العودة إلى الشام، حيث سار إليها في رجب سنة ٥٧١هـ/ يناير ١١٧٦م، فوصلها وأقام متوالياً على دمشق مدة سنتين، ثم انتقل إلى مصر فتولى الإسكندرية حتى وفاته في بداية سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م^(٩١).

- نتائج الحملة:

من أهم النتائج التي حققها شمس الدولة تورانشاه في فتحه لليمن هي:

- ١ - توحيد اليمن والقضاء على مظهر التجزئة من خلال القضاء على الدولة المتعددة فيها.
- ٢ - ضم معظم اليمن الأسفل وتهامة إلى سلطان الأيوبيين والخلافة العباسية وسيادة المذهب السني في تلك المناطق من خلال القضاء على دولة بني مهدي وبقايا النفوذ الفاطمي بها.
- ٣ - أصبحت اليمن جزءاً من الدولة العربية الإسلامية الموحدة.
- ٤ - تأمين الطريق التجاري البحري الواصل من اليمن إلى مصر عن طريق السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وبذلك تأمين حدود الدولة الأيوبية في الجنوب.
- ٥ - منع أي مبادرة صليبية للاتصال بالحبشة المسيحية أو قيام أي تحالف إفرنجي حبشي وذلك منعاً للأخطار التي قد تهدد الأماكن المقدسة، ذلك أن التفكير في حشد أساطيل صليبية في البحر الأحمر عن طريق قلعة أيلة كان يراود الصليبيين بقصد الإغارة على مكة والمدينة وإن قيام البرنس أرناط بحملته في البحر الأحمر بعد ذلك عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م. بقصد الإغارة على الأماكن المقدسة الإسلامية فهو أكبر دليل على ذلك^(٩٢).
- ٦ - إن إقدام صلاح الدين على انتزاع قلعة أيلة من الصليبيين في سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م، وبسط نفوذه على الحجاز واليمن مكنه من تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة إسلامية وإحكام السيطرة المصرية عليه مما أدى إلى إقرار السيطرة التجارية الإسلامية في البحر الأحمر في أيدي الكارمية.

خاتمة:

لقد أثبتت منطلقات صلاح الدين الأيوبي وخلفائه في اليمن عن نظرة تشمل الصالح العام ضد الخطر الذي كان يستهدف الدولة العربية الإسلامية ككل وليس كجزء واحد فقط. وعلى هذا الأساس تمكنت السياسة الأيوبية من توظيف قدرات مصر وضمها لقدرات بلاد الشام، مضافاً إليها قدرات بلاد اليمن لتطويق الخطر الصليبي، ثم محاربة كياناته التي زرعتها في المشرق العربي.

لقد تمكن الأيوبيون من وضع بلاد اليمن في إطارها العربي الإسلامي المشرق بحماية الممرات البحرية العربية من مخططات الإفرنج العدوانية وحماية الأراضي المقدسة وتأمين التجارة بما يعود بالخير على الأمة الإسلامية.

الهوامش

(١) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، المجلد الخامس، ص ٤٤٧-٤٤٨. الموسوعة العربية، رئيس التحرير، نجيب فرنجية، وضعها ألبرت الريحاني وفريق من الأساتذة، ط١، ١٩٥٥م، بيروت، ص ٨٤٢.

(٢) الحسين، يحيى بن الحسين: **غاية الأمان في أخبار القطر اليماني**، تحقيق عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، ج١، ص ٣١٦، الكبسي، محمد بن إسماعيل الكبسي: **اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية**، مطبعة دار السعادة، مصر، ١٩٨٣م، ص ٥٢. زيارة، محمد زيارة: **أنمة اليمن**، تعز، مطبعة الناصر ١٩٥٢م، ج١، ص ١٠٧-١٠٨. المطاع، أحمد المطاع: **تاريخ اليمن الإسلامي**، تحقيق الحبشي، بيروت، دار التوير، ط١، ١٩٨٦م، ص ٣٥١.

(٣) الخزرجي، علي بن الحسين الخزرجي: **العسجد المسبوك في من ولي اليمن من ملوك**، مخطوط دار الفكر، دمشق صورة ثانية سنة ١٩٨١م، ص ١٣٩-١٤٠. ابن ميمون رسالة اليمن، ص ٤٠-٤١. ابن الديبع، عبد الرحمن بن الديبع: **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون**، تحقيق محمد الأكوع، المطبعة السلفية، القاهرة، ص ٣٦٨، ٣٧٢.

(٤) الخزرجي: **العسجد**، ص ٧٥-٨١، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٠١، ٢٩٤، ٢٩١.

(٥) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ج١١، ص ٣٨٧. الشيال، جمال الدين الشيال: **تاريخ مصر الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٢، ص ٣٧.

(٦) أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة، ١٢٨٧م، ج ١، ص ٢١٦. ابن شداد، القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، المعروف بسيرة صلاح الدين، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ١٩٦٤م، ص ٤٦. عبد العال، محمد عبد العال أحمد: الأيوبيون في اليمن، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٧١.

(٧) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ٤٦، ابن الربيع: قرة العيون، ص ٢٧٤.

(٨) الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج ٢، ص ٣٧.

(٩) أبو شامة: الروضتين، ج ١، ص ٢١٦. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، ١٩٥٣م - ١٩٦٠م، ج ١، ص ٢٣٨. ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٩٦، ٣٩٨-٣٩٩. عبد العال: الأيوبيين، ص ٧١.

(١٠) عبد العال: الأيوبيين، ص ٨٠. بروكلمان، كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية. د. نبيه فارس والأستاذ منير البعلبكي، بيروت ١٩٥٣م، ج ١، ص ٢٨٨.

(١١) الخزرجي: المسجد، ص ١٤٧، ابن الدبيع، قرة العيون، ص ٣٧٦. عبد العال: الأيوبيين، ص ٧٢. ابن ميمون: رسالة اليمن، ص ٤٠.

(١٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، بلا تاريخ، ج ٦، ص ٦٧.

(١٣) Nikta Elisseef, L'orient musulman au moyen age, Paris, 1977, P. 267

- (١٤) هاملتون كب: صلاح الدين الأيوبي، دراسات ف التاريخ الإسلامي، حررها يوسف أبيش، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٢١.
- (١٥) N. Elisseef, op, cit. P. 267
- (١٦) ابن قاضي شبيهه: الكواكب الدرية في السيرة النبوية، تحقيق محمود زايد، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٢١.
- (١٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٣. القاضي شبيهه: الكواكب الدرية، ص ٢١٤.
- (١٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٢١ - ٢١٤.
- (١٩) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلحية، تحقيق محمد حلمي، القاهرة، ١٩٥٦م، ج٢، ص ٥١٨.
- (٢٠) القاضي شبيهه: الكواكب الدرية، ص ١٨٢.
- (٢١) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ص ٢١.
- (٢٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢١. عبد العال: الأيوبيين، ص ٧٣-٧٤.
- (٢٣) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ٤٦.
- (٢٤) ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ٣٩٨، ٣٩٩-١٩٦. أبو شامة: الروضتين، ج١، ص ٢١٦. ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص ٢٣٨.
- (٢٥) أبو شامة: الروضتين، ج١، ص ٣٦-٣٧. ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ١٢٦-١٣١.

(٢٦) ابن جبير: رحلة ابن جبير، نشرها رايت ، ط٢، نقحها ك.ي. دي. خويه لين، ١٩٠٧م، ص ٧٠-٧١. حوراني، جورج حوراني: العرب والملاحاة في المحيط الهندي. ترجمة يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٤١ - ٢٥٩. عثمان، شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ٤١-٩٠٤هـ/٦٦١-١٤٩٨م، عالم المعرفة- الكويت، ١٩٩٠م، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٢٧) ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص ٢٣٨. المقرئزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٤٨م، ج٢، ص ٢٦٨. القوصي، عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٢٦٨. السيد عبد العزيز سالم: البحر فالأحمر في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٨٣.

(٢٨) القوصي: تجارة البحر الأحمر، ص ١٤٤. سالم: البحر الأحمر، ص ٨٤.

(٢٩) أبو شامة: الروضتين، ج٢، ص ١٩١. دراج، السيد دراج: عيذاب، مجلة نهضة إفريقية، العدد التاسع، السنة الأولى يوليو ١٩٥٨م، ص ٥٣. سالم: البحر الأحمر، ص ٨٦. المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٧٥.

(٣٠) WIET: Les marchands depices sous les sultans mamlooks, le caire. 1955, p 86.

(٣١) Fischel; the spice trade in mamlooks, Egypt, jessho, L, 1958, p 161-162 القوصي: تجارة مصر، ص ١٧١.

(٣٢) Ashtor the karimi marchants, cjras, London, 1956, p 51. صبحي لبيب: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية- المجلد الرابع، العدد الثاني، مايو ١٩٥٢م، ص ١٢.

(٣٣) القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩١٥م، ص ٣٢.

Cahen: *lachronique des ayyoubides*. Dal makin B. Alamid, (BEO, T. XV, 1955-1958, Damas, 1958.

Fischel, w: *the spice trade in mamluk Egypt* P128, P. 167

القوصي: **تجارة مصر** ، ص ١٧٥-١٧٦.

(٣٤) صيحي لبيب: **التجارة الكارمية**، ص ١١-١٢.

(٣٥) ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، ص ٦٩-٧٠.

(٣٦) ابن جبير، **المصدر نفسه**، ص ٥٥.

(٣٧) القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج ٣، ص ٤٥٧.

(٣٨) القلقشندي: **المصدر نفسه**، ص ٣٥٩.

(٣٩) FICHET: *OP CIT*. P. 168

(٤٠) ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، ص ٧٠-٧١. القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج ٤، ص ٢٧١.

(٤١) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ٢٤٣. ابن الأثير: **الكامل**، ج ١١، ص ١٩٦، ٣٩٨-٣٩٩.

Lane- poole: *ahistsri of Egypt in the middle ages*- London, 1936 , pp. 197-193. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٧١.

(٤٢) أبو شامة: **كتاب الروضتين**، ج ١، ص ٢٢١. سعداوي، **نظير حسان سعداوي: التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين**، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٤٢.

- (٤٣) زيادة، محمد مصطفى زيادة: حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢٨.
- (٤٤) ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، القاهرة، ١٩٥٨م، ج ١٢، ص ٢٧٥.
- (٤٥) Derenbourg; Omara du Yemen, servie et son œuvre, vol. 2 (٤٥) Parid 1897-1902, p. 584. عبد العال: الأيوبيون، ص ٧٥.
- (٤٦) سعداوي: التاريخ الحربي، ص ٦٤. عبد العال: الأيوبيون، ص ٧٥.
- (٤٧) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ١، ص ٢٨٨.
- (٤٨) الخزرجي: المسجد، ص ١٤٧. ابن الديبع: قرّة العيون، ص ٣٧٦. عبد العال: الأيوبيون، ص ٧٢.
- (٤٩) أبو شامة: كتاب الروضتين، ج ٢، ص ٣٩٣-٤٠٢-٤٠٥.
- (٥٠) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٨.
- (٥١) القاضي شبهة: الكواكب الدرية، ص ١٨١٤.
- (٥٢) ابن تغري بدري: المصدر السابق، ج ١١، ص ٣٧٢.
- (٥٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٨٧. أبو شامة: كتاب الروضتين، ج ١، ص ٢٠٨.
- (٥٤) سعداوي: التاريخ الحربي، ص ٤١.
- (٥٥) عبد الحميد، سعد زغلول عبد الحميد: العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب، بحث في مجلة الآداب، الإسكندرية، المجلد ٦-٧، سنة ١٩٥٢-١٩٥٣، ص ٩٣-٩٥.

(٥٦) التيجاني: رحلة التيجاني، تحقيق عبد الوهاب، تونس، المطبعة الرسمية، ١٩٥٨م، ص ١١١-١١٢.

(٥٧) و شامة: كتاب الروضتين، ج٢، ص ١٧٤-١٣٦. زكار، سهيل زكار: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة، سهيل زكار، دمشق، ١٤١٦-١٩٩٥م، ج١٩، ص ٣٥٩-٣٠٧-٢٣٥.

(٥٨) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، بيروت، ١٩٦٧م، ج٤، ص ٣١٦-٣١٧.

(٥٩) المراكشي، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه محمد سعيد العريان، ومحمد العربي، القاهرة، ١٨٩٤٩م، ص ٢٨٤.

* المقصود هنا تومرت وليس الإمام الذي ينتظره الشيعة كما هو معروف.

(٦٠) زكار: الموسوعة الشامية، ج١٩، ص ٤.

(٦١) الخيمي، الحسن بن أحمد: سيرة الحبشة، نشر الدكتور مراد كامل، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٦٦. بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج٢، ص ٢٢٨. الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج٢، ص ٣٧.

(٦٢) أبو شامة: كتاب الروضتين، ج١، ص ٥٤٤. القاضي شبهة: الكواكب الدرية، ص ٢٢٢. ابن الأثير: الكامل، ج١١، ص ٣٩٦. الخزرجي: العسجد، ص ١٤٦. الهمذاني، الأمير بدر الدين محمد بن حاتم الهمذاني: كتاب السمط الغالي في أخبار الملوك من الغز باليمن، حققه ركس سمث كمبرج ، بريطانيا، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ١٥.

- (٦٣) بامخرمة، عبد الله الخطيب، **ثغر عدن**، بيروت، دار الجيل، عمان، دار عمار، ط٢، ص ١٩٨٧م، ص ٦٩، الخزرجي: **العسجد**، ص ١٤٦، أبو شامة: **الروضتين**، ج ١، ص ٥٥٤. القاضي شبهة: **الكواكب الدرية**، ص ٢٢٢.
- (٦٤) الهمذاني: **السمط الغالي**، ص ١٦. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٨٣.
- (٦٥) الحمزي، عماد الدين إدريس: **تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار**، تحقيق عبد المحسن: **مداعج**، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٩٢، ص ٩١ الهمذاني: **السمط الغالي**، ص ١٦. الخزرجي: **العسجد**، ص ١٤٨. ابن الديبع: **قرة العيون**، ص ٢٧٦.
- (٦٦) ابن الأثير: **الكامل**، ج ١١، ص ٣٦٩، ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ٢٤١.
- (٦٧) الخزرجي: **العسجد**، ص ١٤٧-١٤٨. ابن الأثير: **الكامل**، ج ١١، ص ٣٦٧. الهمذاني: **السمط الغالي**، ص ١٦-١٧.
- (٦٨) ابن الأثير: **الكامل**، ج ١١، ص ٣٩٧. الخزرجي: **العسجد**، ص ١٤٧-١٤٨. بامخرجة: **ثغر عدن**، ص ٦٩.
- (٦٩) ابن الديبع: **قرة العيون**، ص ٣٧٦.
- (٧٠) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ٢٤٢-٢٤٣. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٨٥-٨٦.
- (٧١) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ٢٤٢. ابن الأثير: **الكامل**، ج ١١، ص ١٧٨. المقرئزي: **اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة، ج ١، ص ٥٣.

- (٧٢) الخزرجي: **العسجد**، ص ١٤٨. ابن الدبيع: **قرة العيون**، ص ٣٧٦. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٨٧. الهمداني: **السمط الغالي**، ص ١٧.
- (٧٣) الخزرجي: **العسجد**، ص ١٥٠. الهمداني، حسين الهمداني وحسن سليمان محمود: **الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٢٤٢.
- (٧٤) الخزرجي: **العسجد**، ص ١٥٠. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٨٩-٩٠.
- (٧٥) **الدملوة**: حصن على جبل الصاو إلى الجنوب من تعز.
- (٧٦) الخزرجي: **العسجد**، ص ١٥٠، ١٨٠. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٨٩-٩٠.
- (٧٧) الخزرجي: **العسجد**، ص ١٥٠-١٥١. الهمداني: **السمط الغالي**، ص ١٧-١٨. ابن الدبيع: **قرة العيون**، ص ٣٧٨. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٩١.
- (٧٨) **حصن براشن**: حصن على جبل نقم- مطل على صنعاء ويقع إلى الشرق منها. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٩١.
- (٧٩) الخزرجي: **العسجد**، ص ١٥٠-١٥١. الهمداني: **السمط الغالي**، ص ١٧-١٨. ابن الدبيع: **قرة العيون**، ص ٣٧٨. عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٩١.
- (٨٠) عبد العال: **الأيوبيون**، ص ٩١.
- (٨١) الخزرجي: **العسجد**، ص ١٥١. ابن الدبيع: **قرة العيون**، ص ٣٧٩. أبو شامة: **الروضتين**، ج ١، ص ٥٥٤.
- (٨٢) **برع**: جبل بالقرب من وادي السهام في نواحي زبيد، الحموي، **ياقوت: معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ١٢٨.

- (٨٣) ابن الدبيع: قرة العيون، ص ٣٧٩. الهمداني: السمط الغالي، ص ١٩.
الخرجي: العسجد، ص ١٥١. عبد العال: الأيوبيون، ص ٩٣.
- (٨٤) الخرجي: العسجد، ص ١٥١-١٥٢. الهمداني: السمط الغالي، ص ١٩ -
٢٠. عبد العال: الأيوبيون، ص ٩٤.
- (٨٥) المقرئ: السلوك، ج ١، ص ٥٣.
- (٨٦) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٦٤٧.
- (٨٧) سعداوي: التاريخ الحربي، ص ٤٤. عبد العال: الأيوبيون، ص ٩٤-٩٥.
- (٨٨) أبو شامة: الروضتين، ج ١، ص ٢٦٠. عبد العال: الأيوبيون، ص ٩٥.
- (٨٩) الخرجي: العسجد، ص ١٥٢. عبد العال: الأيوبيون، ص ٣٧.
- (٩٠) المصدر السابق، ص ١٥٢. المرجع السابق، ص ٩٧.
- (٩١) الخرجي: العسجد، ص ١٥٠. ابن الدبيع: قرة العيون، ص ٣٨١.
الهمداني: السمط الغالي، ص ٢٣.
- (٩٢) أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ٣٦-٣٧. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢،
ص ١٢٦-١٣١.